في أفق السياسة الدولية

الســـلام المسلح

بقلم باحث دبلوماسي كبير

السلام المسلح هو بلا ريب شعار السياسة الدولية هذا العام فالدول العظمى تتسابق كلها في ميدان التسليح بحماسة لم يسمع بها في التاريخ ، ومع ذلك فالدول تؤكد نياتها السلمية ، وتدعى جميعاً أنها تقوى أهباتها الدفاعية دفعاً للاعتداء وتقريراً للسلم ؛ وقد كانت انكلترا إلى ما قبل أشهر قلائل أقل الدول العظمى تأثرا بهذه الحمى في سبيل التسليح ، ولكنها اليوم تنزل إلى نفس الميدان ببرنامج للتسليح يفوق بضخامته كل ما عرف حتى اليوم ، وترصد لهذا البرنامج اعتماداً يبلغ ألفاً وخمسمائة مليون من الجنيهات ، وهو إسراف لم يسبق أن عرفته الأمبراطورية البريطانية في تاريخها الحافل رغم اهتمامها دائماً بشئون التسليح والدفاع ، وفي نفس الوقت الذي تتقدم فيه السياسة البريطانية بهذا البرنامج العسكري الهائل تتقدم إلى العالم بنفس التأكيدات السلمية التي لم تنقطع عن ترديدها طيلة الأعوام الأخيرة ، وتعلن أنها لا تتسلح إلا دفاعاً عن نفسها وحفظاً لكيانها ومصالحها ، وتأييدا للسلام العالمي الذي كانت قوة بريطانيا العظمى دائماً عاملا كبيرا في تعزيزه وتأييده

والسياسة البريطانية لا تخفي أنها كانت مسرفة في حسن الظن بالعهود والمواثيق الدولية ، وفي الاعتماد على مبادىء السلم وحسن التفاهم بين الأمم ، وانها كانت مقصرة في مجاراة الأمم الأخرى في التسليح بالدرجة التي يقتضيها مركزها الدولي ، ومصالحها الأمبراطورية العظيمة ، فهي الآن تجري على نفس سياسة السلم المسلح التي جرت عليها الدول الأخرى ، بعد أن أيقنت أن التخلف في هذا المضمار يعتبر خطرا على هيبتها الدولية وعلى سلامتها وسلامة أمبراطوريتها المترامية الأطراف ، وبعد أن لمست عن قرب هذا الخطر جاثماً يتربص بها ويحاول أن يجد فرصة في نقص أهباتها الدفاعية ، وهي تعود اليوم فترى أن الوسيلة العملية الوحيدة لاسترداد مكانتها الدولية ، وتأييد كلمتها وإرادتها وحفظ سلامتها وطمأنينتها ، هي أن تضاعف أهباتها في التسليح حتى تستطيع أن تسحق أية قوة في العالم تفكر في مناوأتها والاعتداء عليها

وليس من العسير أن نستشف بواعث هذا التطور الحاسم في السياسة البريطانية الحالية وتحولها إلى خطة السلام المسلح ، بعد أن كانت تعتمد على المواثيق الدولية والسلامة المشتركة والجهود السياسية ، ففي حوادث العام الماضي تفسير شاف لهذه البواعث ، وأولها وأهمها بالطبع هي المسألة الحبشية التي فتحت عيون السياسة البريطانية إلى حقائق لم تحسن تقديرها ، فقد دبرت ايطاليا اعتداءها على الحبشة عامدة متعمدة ، وغزتها واستولت عليها بوسائل عنيفة وحشية هي أدنى إلى القرصنة منها إلى الحرب الحقيقية ، ولم تعبأ بالمعاهدات المعقودة والمواثيق المقطوعة ولا بكون الحبشة من أعضاء عصبة الأمم ؛ وحاولت السياسة البريطانية أن تحشد دول العصبة ضد إيطاليا في جبهة أدبية اقتصادية تقاومها بالاستنكار والمقاطعة ، فلم تحفل إيطاليا بهذا السلاح السلبي وسخرت منه كما سخرت من السياسة البريطانية ومحاولتها ، وانتهى الأمر باستيلائها على الحبشة ، ووطدت بذلك سلطانها الاستعماري في شرق افريقية بجوار السودان ومنابع النيل وكنيا وشرق أفريقية البريطاني . ولم يكن موقف السياسة البريطانية يومئذ دفاعاً عن الحبشة ذاتها ، وإنما كان وسيلة للدفاع عن مصالح الأمبراطورية ، لأن قيام العسكرية الفاشستية في الحبشة على هذه الصورة المتحفزة يهدد سلامة الأملاك البريطانية ويهدد المواصلات الأمبراطورية في البحر الأحمر ، وتوطد سلطة إيطاليا الاستعمارية يهدد سياسة بريطانيا البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، ولم تستطع بريطانيا العظمى يومئذ أن تلجأ إلى سلاح العنف لمقاومة المشروع الايطالي . ولم تحاول أن تغلق قناة السويس في وجه القوات الايطالية لأنها أدركت يومئذ أنها ليست مستعدة للطوارىء تمام الاستعداد ، وأن من الخطر أن تدخل مع العسكرية الفاشستية المتوثبة في معركة لا تؤمن عواقبها لهذا كله اكتفت بمراقبة الحوادث ، وشهدت على كره منها ومضض ظفر الفاشستية بغزو الحبشة وقيام الأمبراطورية الايطالية الاستعمارية ، وشهدت انهيار سياستها القائمة على تحريك العصبة ؛ ولم يخف على السياسة البريطانية ما أحدثه ذلك الفشل

من صدع لهيبتها ونفوذها الدولى ، ولم يخف عليها أنها كانت قصيرة النظر حينما اعتمدت على فكرة السلامة المشتركة ، وتخلفت فى مضمار التسليح حتى تفوقت عليها فيه أمم أخرى أصبحت تناوئها الآن وتشاكسها

وفى نفس الوقت الذى نفذت فيه إيطاليا اعتداءها على الحبشة على هذا النحو المثير ، أعلنت ألمانيا نقضها لميثاق لوكارنو الذى يكفل سلامة حدود الرين ، كما أعلنت نقضها لآخر النصوص العسكرية فى معاهدة الصلح المتعلقة بتحريم التسليح فى منطقة الرين . وانكلترا من الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو ، ومع أنها لم تتأثر بتصرف ألمانيا قدر ما تأثرت فرنسا فإنها رأت فى انهيار هذا الميثاق الذى كان يعد ضماناً قوياً للسلام فى غرب أوربا نذيراً سيئاً بانهيار فكرة السلام المشتركة وتقويض صرح السلام الأوربى ، ورأت فيه بالأخص ضربة أليمة لشرعية العهود والمواثيق تنذر بانهيار سلطان القانون الدولى ، وتبعث إلى الريب فى قيمة العهود الدولية ، وتحمل على عدم الاطمئنان إليها ، ما لم تكن من ورائها القوة الكافية لتأييدها وضمان تنفيذها

ثم كانت المشكلة الأسبانية ، وتدخل ألمانيا وايطاليا فيها الى جانب الثوار الأسبانيين لاقامة حكومة عسكرية فاشستية فى أسبانيا : وقد لمحت انكلترا منذ البداية شبح الخطر الذى يجثم من وراء هذا التدخل ، وأدركت فى الحال أن قيام حكومة فاشستية فى أسبانيا تؤيدها ايطاليا والمانيا ، وكلتاهما تضطرم طموحا الى الفتوح الاستعمارية ، مما يهدد سيادتها فى غرب البحر الأبيض المتوسط ، وهى سيادة تحرص عليها بالسهر على مدخل هذا البحر من مضيق جبل طارق ، وهو توجس لم تلبث ان حققته تطورات الحرب الأسبانية ، وتدفق الجنود الايطالية والألمانية الى أسبانيا ، وما قامت به الدولتان من المناورات الاستعمارية المزعجة فى جزر البليار ومراكش الاسبانية

إزاء ذلك كله شعرت انكلترا بحقيقتين بارزتين ، الأولى ان هناك خطرا حقيقيا على سيادتها فى البحر الأبيض يتفاقم يوما بعد يوم ، وان ايطاليا الفاشستية تبذل جهودا جبارة لتحطيم هذه السيادة ؛ والثانية أن سلام أوربا لم يعد مكفولا ، وان ألمانيا وايطاليا المدججتين بالسلاح أصبحتا بما لهما من القوة العسكرية تتحكمان فى سلام القارة ، وتهددانه فى كل لحظة بنزعاتهما واطماعهما العنيفة ، وأنه أضحى من العبث ان تعتمد السياسة البريطانية على سياسة العهود والمواثيق والسلامة الاجتماعية ، وأنه لا بد من اعتمادها على القوة للدفاع عن سلامتها ومصالحها الامبراطورية الواسعة ؛ ومع ان انكلترا عقدت فى يناير الماضى مع ايطاليا اتفاقا باحترام الحالة القائمة فى البحر الأبيض ، والاعتراف بالمصالح المتبادلة وهو ما يسمونه باتفاق الجنتلمان ، فان السياسة البريطانية لم تكن ترى فيه على ما يظهر اكثر من وسيلة لتهدئة الحالة وتسكين الأعصاب المضطربة واكتساب الوقت ؛ بل يلوح لنا ان هذا الاتفاق الذى علقت عليه يوم عقده آمال كبيرة ، ينهار اليوم من أساسه ، لأن ايطاليا رأت فى برنامج التسليح البريطانى ، وفى دعوة الحكومة البريطانية للنجاشى الى حفلات التتويج ، ما يسوغ لها الارتياب فى موقف السياسة البريطانية ، والسير فى سياستها العسكرية المطلقة دون تردد أو تقيد

وقد كان لهذا التحول فى السياسة البريطانية ، والتجاء بريطانيا الى سياسة التسليح الشامل وقع عميق فى المانيا وايطاليا : ومما يلاحظ انه وقع على أثر اثارة المانيا لمسألة المستعمرات ومطالبتها بمستعمراتها القديمة بصورة رسمية ، ورد انكلترا على مطالبها بالرفض المطلق ؛ وقد أكد مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية فى عرضه لسياسة بريطانيا الخارجية ، ان بريطانيا لا ترمى بالتسلح الى أية غاية اعتدائية ، ولا تفكر مطلقا فى تعكير السلم ، وكل ما ترمى اليه هو الدفاع عن سلامتها وسلامة أملاكها ومصالحها الامبراطورية ، ولم يخف الوزير أن ما شعرت به بريطانيا من خيبة الأمل فى قيمة العهود والمواثيق الدولية وقيمة السلامة المشتركة كان من أعظم بواعث هذه السياسة ، ولم يخف ان اخفاق العصبة فى المسألة الحبشية كان صدمة أليمة للعصبة ولجميع الدول التى تؤمن بمبادئها . بيد ان السياسة البريطانية ما زالت تؤمل فى مستقبل العصبة ومستقبل مبادئها السلمية الحرة . على أن هذه التصريحات الملطفة لم تخف الحقيقة البارزة فى تسلح بريطانيا ، وهى انه رد عملى على تسلح المانيا وايطاليا ، ورد القوة على القوة ، واعتزام التذرع بالعنف لرد العنف . ولن يستطيع منصف ان يلوم السياسة البريطانية على هذا التحول الذى اضطرت اليه لمثل هذه البواعث الحيوية القاهرة . ولكن برلين وروما لا تريان هذا الرأى ، أما برلين فلا تؤمن بما تقوله السياسة البريطانية فى تبرير

هذا التسلح . بل ترى فيه تحديا وتهديدا خفيا لها لتأييد السياسة التي ترى الى حرمانها من مستعمراتها ومطامعها الاستعمارية والاقتصادية المشروعة ، وأما رومة فلا تشك انه موجه اليها توجيها مباشرا لحرمانها من ثمرات تفوقها العسكرى وانتصارها فى الحبشة وتهديد سلامة امبراطوريتها الاستعمارية التى كسبتها بسيفها ، ولذلك رأينا المجلس الفاشستى الأعلى يجتمع بسرعة ويقرر مواصلة التسليح دون هدنة أو توقف ، وان يترك فكرة الاتفاق على تحديد التسليح نهائيا ، وسيقترن هذا القرار باجراء مناورات بحرية وجوية كبرى فى مياه المضيق الواقع بين طرابلس وصقلية ، وهو المضيق الذى قد تفكر ايطاليا فى اغلاقه فى حالة الحرب لتقطع المواصلات البريطانية فى البحر الابيض المتوسط

وهكذا نرى معركة التسليح تضطرم بين الدول الكبرى . ولا ننس ان فرنسا قد اقرت كذلك برنامجا هائلا للتسليح ، وان روسيا السوفيتية قد دججت سلاحا وأضحت أقوى دول القارة. بيد أنه مما لاريب فيه أن للتسليح البريطانى آثارا يغتبط لها أنصار السلام ، ذلك أن بريطانيا لا تطلب مزيداً فى السلطان والملك ، ولا تفكر فى فتوحات أو غزوات استعمارية جديدة ، وانما تريد الدفاع عن امبراطوريتها القائمة . ومقاصدها الدفاعية ظاهرة لا ريب فيها ، وفى وسع بريطانيا متى أتمت تسليحها واستكملت قوتها أن تغدو بمالها من الكلمة النافذة والقوة المرهوبة عاملا حاسما فى استتباب السلم العالمى (٠٠٠)

كتابان جديدان

الشخصية

التربية الانكليزية

تاليف الاستاذ محمد عطية الابراشى

أول كتابين ظهرا فى اللغة العربية عن المثل الأعلى للشخصية الانسانية ، والتربية الانكليزية الاستقلالية فى البيت والمدرسة . وهما خلاصة عشرات من الكتب .

وثمن الأول ٨ ص ، والثانى ١٢ ص

يطلبان من ملتزمة نشرها

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

فى الأدب المقارن

الحـــرب

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ نخرى أبو السعود

حب الحياة والاقبال على متعاتها والرغبة فى التكثر من خيراتها مركب فى طبائع الأحياء . وليس لحاجات الحى ورغباته ومطامحه نهاية ، بل تبقى له حاجة ما بقى كما قال الشاعر ؛ والنزاع بين الأحياء على خيرات الحياة من أجل ذلك متصل لايفتر ، وهيهات يفتر وحب الخلاف والنزاع والجلاد ذاته بعض طبائع الاحياء ، والشغف بالقلب والتخايل بالقوة والزهو بالسيادة من أكبر مطامع الأحياء والانسان خاصة ، ومن ثم عرف الانسان الحرب من أول عصوره واشتغل منذ همجيته بمكافحة الأحياء من الوحش ومن أبناء جنسه ، وتم له النصر من قديم على أمة الوحش ، وما تزال معارك الانسان مع أخيه ـ أو عدوه ـ الانسان متصلة تشب بين حين وحين

وقد كابد الانسان فى شتى العصور أهوال الحروب وعلم علم اليقين عواقبها الوخيمة ؛ بيد أنه لم يستطع بعد أن ينبذها ، لقيامها على غرائز فى طبعه راسخة متأصلة ، ولما تليح به أمام عينيه من مزايا النصر ومغانمه ومجده وللالائه ، ومن ثم كانت مهمة دعاة السلم من أشق المهام ومطلبهم من أبعد المطالب ، وقد هبوا فى الفترة بعد الفترة ينددون بالحرب وبلاياها ومغباتها ، فكانت صيحاتهم تترك صداها فى نفوس الكثيرين ، لا سيما فى أعقاب الحروب الطاحنة التى أهلكت الحرث والنسل ، ثم لا تلبث غرائز الانسان الفطرية أن تعاوده على أشدها ، وتبدأ الأمم سيرتها الأولى من الطمع والتفانى وتحكم القوة التى لا يفصل سواها بين المطامع المتضاربة

وللحرب آثارها المشهودة فى أدب كل أمة بلا استثناء . ولتلك الآثار ثلاث نواح : فالحرب أولا من أهم وسائل اتصال الأمم واختلاط الأفكار وتلاقح الثقافات ؛ وهى ثانياً وحى الجم الغفير من نظم الشعراء ونثر الكتاب الواصفين لوقائعها وسلاحها ورجالها ، الممجدين لأبطالها وانتصاراتهم ، المفاخرين بما كان دحر الأعداء وحماية الذمار وسلامة الشرف الرفيع من الأذى ؛ والحرب من جهة ثالثة أوحت بآثار أدبية شتى فى تبغيض القتال ، وتسفيه اعتداء